شعراء عهد أشعارهم

عدي بن زيد العبادي - ٣

للاستاذ محمود عبد العزيز محرم

بين عدى بن زيد وعدى بن مرينا - الأسباب التي أدت إلى وقيعة النعمان بعدى - شعر عدى بن زيد فيما قدم النعمان من خير ، والصلة بينهما ، وأعدائه

وثمة شخص آخر لم أقدمه إليك، وهو عدى بن مرينا ، من أشراف الحيرة ، وأظنك تذكر أنى حدثتك أن المنذر قد دفع بابنه النعمان إلى عدى بن زيد ، ودفع بابنه الأسود إلى بنى مرينا . وبنو مرينا هؤلاء منهم عدى . وعدى بن مرينا لم يعجبه ما فعل عدى بن زيد ؛ فقد كان يرى الأسود أفضل وأوفق لأن يكون ملك الحيرة خلفاً لأبيه المنذر ، ولكن عدى بن زيد كبته وغلبه على أمره وتدبيره ؛ فاختار كسرى النعمان ولم يختر الأسود .

ثم إن عدى بن زيد صنع طعاماً فى بيعة ، وأرسل إلى عدى ابن مرينا أن ائتنى بمن أحببت فإن لى حاجة ، فأتى فى ناس فتغدوا فى البيعة ؛ فقال عدى بن زيد لابن مرينا : يا عدى ، إن أحق من عرف الحق ثم لم يلم عليه من كان مثلك ، وإنى قد عرفت أن صاحبك الأسود بن المنذر كان أحب إليك أن يملك من صاحبى النعمان ، فلا تلمنى على شىء كنت على مثله ، وأنا لا أحب أن تحقد على شيئاً لو قدرت عليه ركبته ، وأنا أحب أن تعطينى من نفسك ما أعطيك من نفسى ، فإن نصيبى فى هذا الأمر ليس بأوفر من نصيبك . وقام إلى البيعة ، فحلف ألا يهجوه أبدا ، ولا يبغيه غائلة ، ولا يزوى عنه خيراً أبدا . فلما فرغ عدى بن زيد ، قام عدى بن مرينا ، فحلف مثل يمينه : ألا يزال يهجوه أبدا ، ويبغيه الغوائل ما بقى . ثم قال :

ألا أبلغ عديا عن عدى ... فلا تجزع وإن رنت (١) قواكا
هيا كانا تصبر لغير فقر ... لتحمد أو يتم بها غناكا
فإن تظفر فلم تظفر حميدا ... وإن تعطب فلا يبعد (٢) سواكا

ندمت ندامة الكسعى (٣) لما ... رأت عيناك ما صنعت يداكا

وتقرب عدى بن مرينا من النعمان بالهدايا وغيرها ، حتى أصبح من خاصته ، وأصبح له بطانة يثق فيهم ويتشيعون له ، وكلما عرض ذكر عدى بن زيد دسوا له قليلا أو كثيراً لدى الملك النعمان ، وبلغ بهم أن يدسوا على عدى بن زيد أنه يقول إن الملك عامله وأنه هو الذى ولاه ما ولاه

وحقيق بدسيسة كهذه أن تؤتى أكلها ؛ فالنعمان ربيب عدى لا شك ، وهو صنيعته لا شك ، وبيت عدى مناوح لبيت النعمان لا شك ؛ إذاً فعدى رجل يخاف ويخشى ، وقد يقول مثل ما قال ، وهى كلمة ثقيلة على أذن الملوك وإن كانوا يعرفون أنها حق لا مرية فيه

وقد ذكر أن عديا صنع ذات يوم طعاماً للنعمان ، وسأله أن يركب إليه ويتغدى عنده هو وأصحابه ، فركب النعمان إليه ، فاعترضه عدى بن مرينا ، فاحتبسه حتى تغدى عنده هو وأصحابه ، وشربوا حتى ثملوا . ثم ركب النعمان إلى عدى بن زيد ولا فضل فيه ، فأحفظ هذا عديا ، وظهرت الكراهة فى وجهه ، فقام النعمان فركب ورجع إلى منزله ؛ فقال عدى بن زيد فى ذلك :

أحسبت مجلسنا وحسن حديثنا بودى (٤) بمالك
فالمال والأهلون مصرعة لأمرك أو نكالك
ما تأمرن فينا فأمرك فى يمينك أو شمالك (٥)

وعلى هذا فعدى بن زيد هو الذى شب بهند وتغزل فيها ، وهو الذى تزوجها على غير رغبة أبيها ، وهو يزعم أن الملك عامله وأنه ولاه ما ولاه ، ثم أخيراً يعتب على الملك ولا يرضى أن احتبسه أحد رعيته وأخره عنه ، حتى يرجع الملك من لدنه غاضبا

وفى يوم شرب النعمان ، فأرسل إلى عدى بن زيد فأبى أن يأتيه ، ثم أعاد رسوله فأبى أن يأتيه ، فغضب وأمر بعدى فسحب من منزله حتى انتهى به إليه ، فحبسه فى السنين (٦) ، وبلج فى حبسه

(١) ضعفت (٢) فلا يهلك

(٣) الكسعى رجل من كسع ، حى من ليس ميلاد ، وهو رام رمى بعد ما أظلم الليل عيرا فأصابه، وظن أنه أخطأه ، فكسر قوسه ، ثم ندم من الغد حين نظر لعل السير مقتولا وسهمه فيه ، فصار مثلا لكل نادم على فعل فعله

(٤) يذهب به ويغنيه (٥) أنت تحكم فينا كما تحكم فى إحدى يديك أو كلتيهما (٦) بلد كان بظاهر الكوفة من منازل المنذر

وقد مكث عدى فى السجن مدة طويلة . وأرسل أشعاراً تصف ما يلاقيه فى سجنه من أذى وضر ، وأنه ما كان يليق مجازاته بمثل هذا ، وأنه عومل معاملة الأعداء ، مع إخلاصه للملك وتفانيه فى خدمته ، ومع أنه رمى عن الملك وناضح عنه . وذكر فيها مصاهرته الملك وزواجه من أهل بيته . وذكر فيها أنه دبر له حتى فاز بالتاج وملك الحيرة . ولكن الأعداء قد قلبوه ، وعملوا عملهم ، وصرعوه

ليت شعرى عن الهمام وبأتيك بخبر (٧) الأنباء عطف السؤال
أين عنا إخطارنا (٨) المال والأنفس إذ ناعدوك يوم (٩) الهال
ونضالى فى جنبك الناس رمو ن وأرمى وكلنا غير (١٠) آلى
فأصيب الذى تريد بلا غمش وأربى (١١) عليهم وأوالى
ليت أنى أخذت حتفى بكفى ولم أذق ميتة الأقتال (١٢)
عملوا عملهم (١٣) لصرعتنا العا م فقد أوقدوا الرحا (١٤) بالثفال

فهو فى هذه الأبيات يذكر الملك بما قدمه له ، وأنه عرض نفسه وماله للمخاطر حين نهض لرد كيد الأعداء ، وأنه كان يناضل أعداء أقوياء ، وأنه كان ظافراً بهم ظاهراً عليهم ، ثم يتمنى أن لو كان أخذ حتفه بكفه بدل أن يموت ميتة الأعداء ، ولكن هؤلاء الأعداء كادوا كيدهم ونجحوا فيه

ثم ها هو ذا عدى يذكر للملك النعمان دخوله على كسرى يوم أراد أن يختبرهم ويعقد لأحدهم على الحيرة ، وكيف أنه كان يمالئ إخوته بقول ويبطن غيره ، وكيف أنه كان لا يدع خصمه يخالف ويعاند ، وكيف أنه لم ينكل ولم يحجم حين دخل النعمان على كسرى فى هذا اليوم العصيب :

وكنت لزاز (١٦) خصمك لم أعرد (١٧)
وقد سلكوك (١٨) فى يوم عصيب

(٧) بحقيقة الأنباء (٨) بذلنا المال والأنفس (٩) نهضوا (١٠) يوم الكريهة (١١) غير مقصر (١٢) أربى : زاد وغالى (١٣) جمع قتل وهو العدو (١٤) كادوا كيدهم
(١٥) الرحا معروفة . الثفال بالكسر : الجلد الذى يبسط تحت رحا اليد ليقى الطحين من التراب ، وقد يطلق الثفال على الحجر الأسفل من الرحا
(١٦) فلان لزاز فلان : لم يدعه يخالف ويعاند فهو لزنه وقاهره
(١٧) أنكل وأحجم وأفر (١٨) أدخلوه

أعالهم وأبطن كل سر
كما بين اللحاء (١٩) إلى العسيب (٢٠)
فأفزت عالهم لما التقينا
بتاجك فوزة القدح (٢١) الأريب

وهذه أبيات يذكر فيها عدى النعمان بسعيه له وجهاده من أجله ، ويحذره أن يكون كالذى يداوى نفسه ، وبعد أن برئ ، عاد فأوهن نفسه وأمرضها . ومعنى هذا أن للنعمان بعدى قوة ، فلا يضعفن نفسه بحبس عدى أو قتله :

لا تكونن كآسى (٢٢) عظمه
بأساً (٢٣) ، حتى إذا العظم جبر
عاد بعد الجبير يبغى (٢٤) وهنه
ينحون (٢٥) الشى منه ، فانكسر
واذكر النعمى التى لم أنسها
لك فى السعى ، إذا العبد كفر

وما كان عدى يتوقع الشر من النعمان ، صهره ، وصديقه ، وشريكه فى السراء والضراء . وإذا كان الشر منه ، فإنه لا يجد له دفعا ، كالشرق بالماء ، فإنه لا يجد ما يعتصر به ، لأن الاعتصار يكون بالماء ، فإذا شرق الإنسان به ، فإنه يكون قد أتى من حيث يأمن ويرجو السلامة . وعدى صهر النعمان ، وقد كان حماد كاتباً للنعمان الأكبر ، وكان زيد ملكا على الحيرة قبل المنذر :

أبلغ النعمان عنى مألكا (٢٦)
أنه قد طال حبسى وانتظارى
لو بغير الماء حلقى شرق
كنت كالغصان بالماء اعتصارى (٢٧)

ليت شعرى عن دخيل (٢٨) يفترى
حيثما أدرك ليلى ونهارى

(٩) قصر العود (٢٠) جريد النخل اذا جرد من خوصه (يقول إنه يبطن السر ولا يبوح به كأنه بين العود وقشره) (٢١) القدح يسهم به ، الأريب: الفائز (٢٢) الآسى : المداوى (٢٣) بدواء (٢٤) ضعفه
(٢٥) يطلبن (٢٦) رسالة (٢٧) الاعتصار : أن يغص الانسان بالطعام فيعتصر بالماء ، وهو أن يشربه قليلا قليلا (٢٨) عدو